الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

الدكتور زاهر محمّد الشّمّاع
دكتور في الأدب العربي
مدرِّس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق
سوريا

الحِكْمَةُ لَدَى عَرَبِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ خِلالِ فَنِّ المُحَاوَرَاتِ النَّثْرِيِّ

مقدّمة:

وصل إلينا الكثير من الأخبار عن حياة عرب الجاهلية ومعيشتهم مِمَّا أفصح لنا عن طبائع نفوسهم وأخلاقهم وتوجُّهاتهم الفكرية في شتى جوانب الحياة، بيد أنَّ مصادر أخرى وصلت إلينا سوى الأخبار التاريخية، كان لها طابع مميَّز في الفكر الإنساني، وأهم هذه المصادر هو الأدب.

وإذا سلَّطنا الضوء على الجانب الفكري للأدب، وجدناه في إحدى وظائفه سجلاً تاريخياً للحقبة الزمنية التي أُنتِج فيها، إذ نجده كاشفاً عن طبيعة ذهن منتجه وتوجُّهه الفكري والنفسي، ولَمَّا كان الأدبُ (ابنَ بيئته) كما هو معروفٌ لدى النقاد، كان كاشفاً عن طبيعة المجتمع الذي أُنتِجَ في حضنه.

وللأدب وجهان أساسيان: شعر ونثر، وفنونهما وألوانهما معروفة، ويبرز فن المحاورات من فنون النثر العربي ليكون ميداناً معرفياً لهذا البحث.

وللمحاورات النثرية أهمية خاصة، إذ إنَّ المحاورة الواحدة تُظهِر أفكارَ شخصَين أو أكثر (بحسب عدد المتحاوِرين)، وتبوح لنا بطبائعهم النفسية، فهي نوع من تبادل الأفكار أو المعلومات أو وجهات النظر، لذا تُعَدُّ سجلاً تاريخياً حفظ لنا وقائعَ ومعلوماتٍ وأفكاراً دالةً على طبيعة المجتمع الذي جَرَتْ فيه، بما فيه من توجُّهات فكرية وطبائع نفسية للجماعات البشرية القاطنة في إبَّانه.

ويحاول هذا البحثُ رَصْدَ الحكمة (بمعنى الحِلْم والأناة والتَّعَقُّل) لدى عرب الجاهلية، من خلال المحاورات النثرية التي دارت على ألسنة أهل ذاك العصر، وشمل الرَّصْدُ أهمَّ فئات مجتمعات عرب الجاهلية، وهي: فئة المُلوك، وفئة السّادة والأشراف، وفئة الفُرسان، وفئة العَامَّة، لتتكامل النظرة في مختلف فئات المجتمع.

المحاورة (لغةً واصطلاحاً):

المحاورة، لغةً، تعني مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر. جاء في معجم (مقاييس اللغة): "يقال: حَارَ، إذا رَجَعَ ... وتقول: كَلَّمتُه فما رَجَعَ إِليَّ حَوَاراً وحِوَاراً ومَحُورَةً وحَوِيراً."[1] وفي (لسان العرب): "يَتَحاوَرُون: أَي يتراجعون الكلامَ، والمُحاوَرَةُ: مراجعةُ المنطِق والكلام في المخاطبة، وقد حاوَرَهُ ..."[2]

وإذا انتقلنا إلى اصطلاح المحاورة، وجدناه مطابقاً للمدلول اللغوي الأصلي، منذ العصور العربية القديمة، فالمحاورة التي هي مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر، حَوَتْ بداخلها أفكاراً تَبَادَلَها كلٌّ من المتحاوِرِيْنَ. ووصلت إلينا هذه المحاورات في مدوَّنات المؤلِّفين القدامى، إذ ضَمَّنوا مؤلَّفاتهم محاورات جَرَتْ في عصرهم أو في عصور سابقة لهم، ووصلت المؤلَّفات إلينا فاطَّلَعْنا عليها. بيد أنَّنا حين ننظر إلى المحاورات في تراثنا العربي نجدها مقسومةً قسمين رئيسيين تبعاً لجنسَي الأدب المعروفَين: الشعر والنثر؛ إذ نجد محاورات واردة في أشعار العرب وهي المحاورات الشعرية، ونجد محاورات نثرية في كلام العرب المرسَل، وهو ما يندرج ضمن النثر العربي؛ ولقد خصصنا دراستنا بالمحاورات النثرية لننظر إليها بمنظار الفكر ضمن الحقبة الزمنية المحدَّدة بالعنوان وهي العصر الجاهلي[3].

الحكمة (لغةً واصطلاحاً):

فَرَّقَ العلماءُ بين معانٍ عدَّة للحكمة، وأبرز التقسيمات التي شاعت بينهم، تقسيمهم الحكمة إلى علم نظري (علم الحكمة)، والحكمة العملية.[4]

ومن ثَمَّ عرَّفوها تعريفات مختلفة، من ذلك أنها: "إتقان الفعل والقول وأحكامهما"[5]، وأنها: "وضع شيء في موضعه"[6]، وأنها: "ما له عاقبة محمودة"[7]، وغير ذلك.

والأصل في معنى الحكمة: منع الجهل[8]، أي إنها في نتيجتها نقيضُ الجهل، وأما الجهل فلمعناه أصلان، الأول: خلاف العِلْم، والآخر: الخِفَّة وخِلاف الطمأنينة.[9]

ومن ثَمَّ يكون للحكمة معنيان، الأول: العِلْم، والآخر: الأناة والحِلْم.

1
2
3
4
5
6
7
8
9

ونجد في (تاج العروس) تنوُّعاً وتفصيلاً في معاني (الحكمة)، من ذلك أنها: "العِلْم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعَمَل بمقتضاها...، وقيل هي: إصابة الحق بالعِلْم والعَمَل...، وهي: الحِلْم الذي يعني ضَبْط النفس والطَّبْع عن هَيَجَان الغَضَب،..."[10]

ويصحُّ ردُّ المدلولات جميعها إلى معنى عام واحد يتَّصل بالعقل، وهو إعمال العقل في الخير. وفي إرجاعنا المدلولات إلى معنى رئيسي واحد، ما يوفِّق بين اختلاف مُفَسِّرِي القرآن الكريم، إذ اختلفوا في تفسير الحكمة المذكورة في قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ)[11]، فبعضهم فَسَّرَها تفسيراً يتَّصل بالمعرفة والعلم، وبعضهم جَعَلَها متَّصلةً بطبيعة النفس الإنسانية بقيادة العقل.[12] ولعلَّ خيرَ خلاصةٍ تجمع أغلب المعاني التي وردت في الحكمة هي أنها: "فِعْلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"[13].

الحكمة لدى عرب الجاهلية:

إذا قيل: كيف يستوي وجود الحكمة لدى عرب الجاهلية، وقد اتَّسموا بالجاهلية التي هي نقيض الحكمة؟! قلنا: إنَّ المجتمعات تتسم بسماتٍ تكون غالبةً عليها، ولا يعني وَصْمُهم بالجاهلية انعدامَ الحكمةِ لديهم وفي مجتمعهم.

إذاً، وُصِفَ ذلك العصر بـ(الجاهلية) لغَلَبَة الجهل الذي هو الطَّيْش والسَّفَه والنَّزَق على أفراد المجتمع، لا لأنَّ الجميع كانوا كذلك، فكما لا نعدم الحنفاءَ في مجتمع الجاهلية الوثني، وكما لا نعدم اللاحنين في مجتمعهم الفصيح، فإننا لا نعدم الحلماءَ المتعقِّلين فيهم.

ثم إنَّ ثمَّةَ أمراً يخصُّ العصر الجاهلي، وهو أنَّ عرب الجاهلية وبلادهم "لم يكونوا مجتمعاً واحداً، بل كانوا طبقات اجتماعية مختلفة متباينة... وقد لحظ بعض الذين كتبوا في العصور الإسلامية عن العصر الجاهلي هذه الفروق في المجتمعات الجاهلية، فهم يقسمون عرب الجاهلية قسمين رئيسيين: الملوك، وغير الملوك. ثم يقسمون غير الملوك قسمين رئيسيين: أهل مَدَر، وأهل وَبَر. ويقسمون أهل المَدَر إلى زرَّاع وتجَّار... ولذلك كان من الإخلال الفاضح بالمنهج السديد أن يُنظَر إلى العصر الجاهلي نظرة واحدة، وأن يُحْكَمَ عليه حكم عام مطلق، وأن يوصَم عرب الجاهلية جميعاً بالبداوة والجهالة، فلا تُراعى هذه الفروق الواسعة في البيئات الاجتماعية المتباينة."[14]

10

11

12

13

14

ونجد محاورات متنوِّعة مبثوثة في بطون المصادر العربية تدل على وجود الحكمة لديهم، وسنأتي على ذكرها فيما يلي، ويمكننا رصدها ضمن فئات متعدِّدة في مجتمعهم.

حكمة المُلوك:

للمَلِكِ نُفُوْذٌ لا يضاهيه نُفُوْذٌ في البقعة التي يحكمها، وله سلطانٌ يعمُّ جميعَ مَنْ حوله في أرضه. وإذا كان للقبائل رؤوسٌ وسادةٌ وأشرافٌ ووجوهٌ، فإنَّ لسائر بقاع عرب الجاهلية ملوكاً يحكمونها، وهي دول عربية متمدِّنة، مختلفة في طبيعتها السياسية والحضارية والاجتماعية عن مجتمع البدو العربي المتوزِّع على نجد والحجاز وتهامة.

"ففي اليمن قامت دولٌ متحضِّرةٌ منظَّمةٌ، من أشهرها: دولة المعينيين، ودولة سبأ، والدولة الحِمْيَرِيَّة.

وثمة إمارة الحِيْرَة، وهي إمارة عربية أقامها الفُرْسُ على حدود بلادهم بالقرب من الكوفة، لتحميهم من غارات العرب، وليحاربوا بها أعداءهم الروم.

أما إمارة غسان، فكان مقرُّها الشام، وكانت هذه المنطقة تحت حكم الرومان، ولَمَّا هاجَرَتْ إليها قبائل من قُضَاعة وسكنت بها لخصبها، اصطنعهم الرومان ليمنعوا غارات العرب عن ملكهم، وليكونوا عدَّةً ضد الفُرْسِ واللَّخْمِيِّين[15]، ثم تَغَلَّبَ على هذه البقعة بنو جَفْنَة الغسانيون ورئيسهم: جَفْنَة بن عمرو، فولَّته الروم مَلِكاً على الشام."[16]

ولَمَّا كان المَلِكُ الآمرَ الناهيَ في دولته، وقَولُهُ وأمرُهُ نافِذَين لا محالة، كانت الحكمةُ في مُلْكِهِ فيصلاً بين ازدهار دولته وخرابها، لأنَّ الحُكْمَ لا يحتمل أدنى رعونةٍ أو سفاهةٍ أو طَيْشٍ أو نَزَقٍ. فهل كان الملوكُ ذوي حِكْمةٍ وتَعَقُّلٍ أم أنهم استسلموا لنفوسهم وما تدفعهم إليه؟

نعثر في هذا الباب على محاورتين جَرَتَا في (الحِيرة)، وكان على الحِيرة آنذاك المنذر ابن ماء السماء، ووردت المحاورتان ضمن خبرٍ عن تولية أهل الحِيرة زيد بن حِمَار[17] التميمي، وهو أبو الشاعر الجاهلي عَدِيِّ بن زيد التميمي المعروف بـ(العِبادي). وكان من خبر هاتين المحاورتين أنَّ أهلَ الحِيرة أرادوا قتل المنذر لأنه كان لا يعدل فيهم، فلمَّا تيقَّن أنَّ أهل الحِيرة أجمعوا على قتله، بَعَثَ إلى زيد بن حِمَار بن زيد بن أيوب التميمي، وكان قبله على الحِيرة، فقال له: **"يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي، وقد بلغني ما أَجْمَعَ عليه أهلُ الحِيرة فلا حاجةَ لي في مُلْكِكُمْ، دونكموه مَلِّكُوه مَنْ شئتم؛** فقال له زيد: **إنَّ الأمرَ ليس إليَّ، ولكنِّي أَسْبُرُ[18] لكَ هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نُصْحاً[19].**

15
16
17
18
19

فلمَّا أصبح غدا إليه الناسُ فَحَيَّوْهُ تحيَّةَ الملك، وقالوا له:

ألا تَبْعَثُ إلى عبدك الظالم - يَعْنُوْنَ المنذرَ - فتُريحَ منه رَعِيَّتَكَ؟ فقال لهم: **أَوَلا خَيْرٌ من ذلك؟!** قالوا: **أَشِرْ علينا؛** قال: **تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلْكٍ، وأنا آتيهِ فَأُخْبِرُهُ أنَّ أهلَ الحِيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحِيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ، فَلَكَ اسمُ المُلْكِ وليس إليكَ سوى ذلك من الأمور؛** قالوا: **رَأْيُكَ أفضلُ.**

فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا؛ فَقَبِلَ ذلك وفَرِحَ، وقال: إنَّ لك يا زيدُ عَلَيَّ نعمةً لا أكفرها ما عرفتُ حَقَّ سبد – وسبد: صنم كان لأهل الحِيرة - فولَّى أهلُ الحِيرة زيداً على كل شيء سوى اسم المُلْك فإنهم أقرُّوه للمنذر."[20]

تجلَّت الحكمةُ في هاتين المحاورتين لدى الملك ولدى الرعيَّة على حدٍّ سواء، فأما الملك فلمَّا تمرَّدَت على المنذر رعيَّتُهُ، أرسل إلى رجلٍ كان حاكماً قبله (وهو زيد) ليستفيد من خبرته في مجال الحكم وليسلِّمه الأمرَ برمَّته، وكان من الممكن أن يتصرَّف المنذر من لدنه ولا يستشير أحداً، كما كان من الممكن أن يستشير رجلاً غير كفء لذلك، بيد أن حكمته جعلته يستشير رجلاً كان حاكماً للبلاد قبله.

أما زيد، وهو الملك السابق للمنذر، فتجلَّت حكمته في رفضه البَتَّ بالأمر من غير مشورة الرعيَّة، وفوق ذلك تمتَّع بحنكة سياسية وذكاء وقَّاد جعله يبتدع حلاً يُرضي به الحاكم والرعيَّة معاً، مع الحفاظ على مصلحة الطرفين.

وفي محاورةٍ جَرَتْ بين إياس بن قَبِيصَة الطائي والنعمان بن المنذر ملك الحيرة، نلمس حكمةَ النعمان وحِلْمه، إذ نَشَبَ بين بعض طيئ خلافٌ، وتواعدوا المماجَدَة[21] في سوق الحيرة، وكان أحد الطرفَين المتنازعَين خَتَناً[22] للملك النعمان، فلمَّا علم إياس بن قبيصة بالأمر، وكان سيداً في قومه، خاف أن يُعِيْنَ النعمانُ أَخْتَانَهُ[23] ويقوِّيهم بالمال والسلطان، للصهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياس رهطه من بني حيَّة، وحضَّهُمْ على مناصرة بني عمهم من الطرف المقابل لأختان النعمان، ثم ذهب إياس إلى النعمان، ودخل إليه غاضباً، وهدَّده بالمخاصمة والمقاتلة بقومه إنْ هو لم يتصرَّف كما أراد منه، فحَلُمَ عنه النعمان ووَعَدَهُ بإنجاز ما يريد.[24]

وتحكي لنا المحاورة ذلك، إذ دخل إياس إلى النعمان، فقال: **"أَنْعِمْ صباحاً أَبَيْتَ اللَّعن،** فقال النعمان: **وحيَّاكَ إلهُكَ،** فقال إياس: **أَتُمِدُّ أَخْتَانَكَ بالمال والخيل، وجعلتَ بني ثُعَل في قَعْر الكِنَانة؟! أَظَنَّ أَختانُكَ أنْ يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن، ولم يشعروا أنَّ بني حيَّة بالبَلَد؟! فإنْ**

20

21

22

23

24

شئتَ واللهِ ناجَزْناكَ[25] **حتى يَسْفَحَ الوادي دَماً، فليحضروا مِجَادَهُمْ**[26] **غداً بمجمع العرب.** فعرف النعمانُ الغضبَ في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: **يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيكَ.**

وأرسل النعمانُ إلى سَعْد بن حارِثة وإلى أصحابه: انظروا ابنَ عَمِّكم حاتماً، فأرضوه، فواللهِ ما أنا بالذي أُعطيكم مالي تبذِّرونه، وما أُطِيقُ بني حيَّة."[27]

ففي قول النعمان لإياس: **(يا أحلمنا لا تغضب)**، نجد أمراً لافتاً للنظر، وهو أنَّ هذه العبارة ليست من كلام الملوك في العادة، ولا تدل على أنَّ قائلها ملك، بل إنَّ العكس هو الصحيح، إذ غالباً ما تُقال هذه العبارة وأمثالها للملوك، بيد أنَّ النعمان أخضع كلامَه ومنطقَه للحكمة بعد سماع كلام إياس وغضبه وتهديده، فقال هذه العبارة التي وجَّهها إلى إياس، وفيها من الاسترضاء والاتِّضاع ما فيها. وبعد هذا الخضوع، شفع عبارته بعبارة أخرى أعادت إليه مكانته وسلطانه، إذ قال: **(فإني سأكفيك)**، وفيها من الإرضاء ما يكفي لأنْ يسكتَ عن إياس الغضبُ. وفي مجمل العبارتين توازنٌ حكيمٌ وذكيٌّ حقَّقه النعمان، ففي الأولى خضوع واتِّضاع واسترضاء، وفي الأخرى قوة وسلطان مع إرضاء واستجابة. وهذا كله ينمُّ على حكمة النعمان وتعقُّله وحِلْمه عن إياس، على نفوذ النعمان وسلطانه. ولا يغرنا كلام النعمان الذي قاله لسعد بن حارثة وأصحابه، إذ سوَّغ لهم استجابته لإياس بخوفه من قدرة قوم إياس، فكم من حربٍ شُنَّت وأطرافها غير مبالين بقدرة عدوِّهم وبالنتيجة التي سيؤولون إليها، بيد أنَّ تجنُّب النعمان للحرب والقتال، هو من باب الحكمة حفاظاً على السلم، فلم يكن ليتحرَّج من الخضوع بالقول قليلاً، وتلبية طلب إياس، في سبيل إخماد شرارة الفتنة قبل أن تشتعل وتتحوَّل إلى حرب شعواء طاحنة.

ونلحظ من المحاورات السابقة أنَّ الحكمة في سلوك الملوك إنما تنبعث من غاية واحدة، وهي الحفاظ على هيبة المملكة واستقرارها.

أما من الناحية الفنية فنلحظ الإيجاز في عبارات الملوك ضمن محاوراتهم، كقول النعمان بعد أن سمع كلاماً كثيراً من إياس[28]: **(يا أحلمنا لا تغضب، فإني سأكفيك)**؛ ولا غرو في ذلك، فعادة الملوك أن يوجزوا كلامهم بأقصر العبارات، بل قد يصل الحد بالملك إلى الصمت والاكتفاء بالإشارة والإيماء فحسب.

حكمة السّادة والأشراف:

25
26
27
28

كانت فئة السادة والأشراف واسعةً في العصر الجاهلي، وذلك لطبيعة المجتمع القبلي؛ ففي كل قبيلة رؤساء وسادات، هم من عِلْيَة القوم وأشرافهم. ولا ريب في أنَّ نفوس هؤلاء يداخلها الشعور بالاستعلاءِ والزُّهُوِّ والاعتدادِ بالنفس. وهذا الشعور يدفعهم إلى عمل ما يحلو لهم متى يشاؤون وكيف يشاؤون، ولا سيما أنهم أصحاب نفوذ وسلطة وجاه. وهنا تؤدِّي الحكمةُ دورها في كبح جماح النفس وردِّها إلى العقل. فهل كانت الرعونة مسيطرةً على سادة عرب الجاهلية وأشرافها؟ أو أنَّ للعقل والحكمة نصيباً في سلوكهم ومواقفهم؟

ثمة محاورةٌ تتعلَّق بالحرب الشهيرة بين الأوس والخزرج التي دامَتْ عشرين سنة، يتعاودون فيها القتال؛ وكان سببُها أنَّ رجلاً من الأوس قتل جاراً لمالك بن العجلان الخزرجي، فلمَّا علم مالك بذلك، طلب من الأوس إرسال القاتل لقتله، فلمَّا أَبَوا، كَثُرَت الرُّسُلُ بين الطرفين في ذلك، فخاف بنو الأوس أن تنشب حربٌ بينهم وبين مالك، فعرضوا عليه الدية، فَقَبِلَ إلا أنهم اختلفوا في مقدارها لأنَّ القتيل حَلِيفٌ، وكان الجار يُدْعَى حَلِيفاً، أما ابن القبيلة فيُدْعَى صَرِيحاً، وكانت دية الحَلِيف نصف دية الصَّرِيح، فلم يرضَ مالك بالنصف، وأبى إلا أن تكون كاملةً، ثم دعته الأوس إلى أن يَحْكُمَ بينهم وبينه رجل من الخزرج اختاروه، فَقَبِلَ مالكٌ إلا أنه أبى أن يرضى بالحُكْمِ الذي هو دفع نصف الدية، وآذن بني الأوس بالحرب، ثم التقى الجمعان وكانت بداية حرب دامَتْ عشرين سنة، تَعَاوَدَ فيها الأوس والخزرج القتال في أيام ومواطن كثيرة، ولبثوا متحاربين في أمر القاتل.[29]

ولَمَّا رأت الأوس طول الشرِّ وأنَّ رأس الخزرج (مالِك بن العَجْلان) لا يكفُّ، أشار عليهم (سُوَيد بن صامِت الأَوْسي) وهو من فرسانهم وحكمائهم[30]، أن يُرضوا مالِكاً من حَلِيفه، لكيلا يقيموا على الحرب فيقتل بعضهم بعضاً ويطمع الغريب فيهم، فأرسلت الأوس إلى مالِك بن العَجْلان يدعونه إلى أن يَحْكُمَ بينه وبينهم (ثابِتُ بن المنذر بن حَرَام) أبو حسان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، فقالوا له:

"إنَّا قد حَكَّمناكَ بيننا؛ فقال: **لا حاجةَ لي في ذلك؛** قالوا: **وَلِمَ؟** قال: **أخاف أن تردُّوا حُكْمِي كما رددتم حُكْمَ عمرو بن امرئ القيس**[31]**؛** قالوا: **فإنَّا لانردُّ حُكْمَكَ فاحكُمْ بيننا؛** قال: **لا أحكُمُ بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لَتَرْضَوُنَّ بحُكْمِي وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنَّ له؛** فأعطَوْه على ذلك عهودَهم ومواثيقَهم، فحكم بأن يُودَى[32] حَلِيفُ مالكٍ ديةَ الصَّرِيح ثم تكون السنَّةُ فيهم بعده على ما كانت عليه؛ الصَّرِيحُ على دِيته والحَلِيفُ على دِيته، وأن تُعَدَّ القتلى الذين أصاب بعضُهم من بعض في حربهم، ثم يكون بعضٌ ببعض، ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأوسُ وتفرَّقوا على أنَّ على بني النجَّار نصفَ ديةِ جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم، وعلى بني

29
30
31
32

عمرو بن عوف نصفَها. فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلبُ، ووُدِيَ جارُه دِيةَ الصَّرِيح."[33]

أوَّلُ أمرٍ تخبرنا به هذه المحاورةُ هو لجوء أشراف القوم ووجوههم إلى حَكَمٍ ليَحْكُمَ بينهم، وذلك في قولهم لثابت بن المنذر: **(إنَّا قد حَكَّمناكَ بيننا)**، وهنا موضع الحكمة بالرغم من القتلى والأثآر التي بينهم.

ونلاحظ إصرارَهم على طلب التحكيم من ثابت بن المنذر لَمَّا رَفَضَ ذلك وقال: **(لا حاجةَ لي في ذلك)**، إذ طلبوا معرفة سبب رفضه فسألوه: **(وَلِمَ؟)**، ولَمَّا أخبرهم بالسبب، أكَّدوا له أنهم سيقبلون بِحُكْمِهِ وألحُّوا عليه المسألة وأعادوا طلبهم، إذ قالوا: **(فإنَّا لانردُّ حُكْمَكَ فاحكُمْ بيننا)**.

وثمة محاورةٌ جَرَتْ بين عُتْبَة بن رَبِيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وبين قومه قريش، يتوسَّط فيها للصلح بين قومه وبين هَوَازِن، وذلك في حروب متوالية حدثت بين قريش وكِنَانة من جهة، وهَوَازِن وقَيْس من جهةٍ أخرى، دامَتْ أربعة أعوام، سُمِّيَت بحروب الفِجَار. وكان من خبر هذه المحاورة أنَّه لَمَّا استمرَّ الاقتتال بين القبائل وكانت الحربُ سِجَالاً بينهم، وكَثُرَ القتلُ فيهم، رغبوا في الصلح، وتراضوا بأن يعدُّوا القتلى، فيدُوا مَنْ فَضَلَ، فكان الفَضْلُ لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح، وتعاقدوا ألا يعرض بعضهم لبعض، فرهن حربُ بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابنه أبا سفيان ابن حرب، ورهن الحارِثُ بن كَلَدَة العَبْدَرِيّ[34] ابنه النَّضْر، ورهن سفيانُ بن عَوف أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ابنه الحارث، حتى وُدِيَت الفُضُوْلُ، وقد تَقَدَّمَ عُتْبَةُ بن رَبِيعة يومئذٍ، فقال[35]: **"يا معشر قريش، هلمُّوا إلى صِلَةِ الأرحامِ والصُّلْحِ،** قالوا[36]: **وما صُلْحُكُمْ هنا، فإنَّا مَوْتورون[37]؟!** فقال[38]: **على أنْ نَدِيَ قتلاكم، ونتصدَّقَ عليكم بقتلانا.** فرضُوا بذلك، وسادَ عُتْبَةُ مُذْ يَومِئذٍ."[39]

والجدير بالذكر في هذا الخبر أنَّ هَوَازِن لَمَّا رأت رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم.[40]

فإذا علمنا أنَّ الحرب انقضت على يد عُتْبَة بسبب توسُّطه ذاك، لم نَعْجَبْ مِنْ أنه عُدَّ بعدها كبير قريش وأحد سادتها، ووُصِفَ بالرَّأي والحِلْم والفَضْل.[41]

33
34
35
36
37
38
39
40
41

وفي توسُّط عُتْبَة دليل على حكمته وتعقُّله، ولا سيما أنه من صميم أحد الأطراف المتقاتلة، ولا ريب في أنَّه ليس في منأى عن الرغبة في الثأر لقومه، وهو صاحبُ وَتْرٍ كما عرفنا، فَقَتْلَى قريش كُثُرٌ، وفوق ذلك رَجَّحَ عُتْبَةُ عقلَه على عواطفه، فكان السَّبَبَ في إخماد نار الحرب والانتقال منها إلى الصلح فالسلم.

ونلحظ في الخبر الملحق بالمحاورة أنَّ هَوَازِن رغبت في العفو عن الرهائن، فأطلقتهم، وفي هذا السلوكِ حكمةٌ ظاهرةٌ من قِبَل رؤوس هَوَازِن الذين اتخذوا هذا القرار.

ونجد محاورةً جَرَتْ بين فاطمة بنت الخُرْشُب، وأبنائها: قَيْس وأنس وعُمَارة والرَّبيع، وهم أبناء زياد بن عبد الله بن سفيان العبسي، وكانت فاطمة إحدى المنجبات، وعُدَّت مع أبنائها من بيت شَرَف وسُؤْدُد، وكان يقال لثلاثة من أبنائها: الكَمَلَة[42]، وهم: الرَّبيع وعُمَارة وأنس. وكان من خبر المحاورة أنَّه ضافَ فاطمةَ بنت الخُرْشُب ضيفٌ، "فَطَرَحَتْ عليه شَمْلَةً[43] من خَزٍّ[44] وهي مِسْكٌ كما هي[45]، فلمَّا وَجَدَ رائحتَها وأَعْتَمَ[46] دَنا منها، فصاحَتْ به، فكفَّ عنها، ثم إنه تحرَّكَ أيضاً فأرادها عن نفسها، فصاحَتْ، فكفَّ، ثم إنه لم يصبر فواثَبَها فبطشَتْ به، فإذا هي من أشدِّ الناس، فقبضَتْ عليه ثم صاحَتْ: **يا قَيْس،** فأتاها، فقالت: **إنَّ هذا أرادني عن نفسي، فما ترى فيه؟** فقال: **أخي أكبرُ مني، فعليكِ به،** فنادت: **يا أنس،** فأتاها، فقالت: **إنَّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟** فقال لها: **أخي أكبرُ مني فَسَلِيْهِ،** فنادت: **يا عُمارة،** فأتاها فذكرَتْ ذلك له، فقال لها: **السيف،** وأراد قتله، فقالت له: **يا بُنَيَّ، لو دَعَوْنا أخاكَ فهو أكبرُ منكَ،** فدعَتْ الرَّبيع، فذكرَتْ ذلك له، فقال: **أفتطيعونني يا بَنِي زياد؟** قالوا: **نعم،** قال: **فلا تُزَنُّوا أُمَّكم، ولا تَقْتُلوا ضَيْفَكُمْ، وخَلُّوه يذهب،** فذهب."[47]

إنَّ أمَّ هؤلاء الرجال، وهم من عِلْيَة القوم وأشرافهم، تعرَّضت لمحاولة اعتداء عليها من قِبَلِ ضيفٍ في بيتهم. وحَمِيَّةُ الجاهليةِ معروفةٌ، والشرفُ عندهم فوق كلِّ شيء، ومع ذلك نجد من حكمة هذه الأسرة ما جعلهم يتريَّثون ويتأنَّون عن الإدلاء بأيِّ رأي أو الإتيان بأيِّ سلوك من غير مشورة الرجل الأعقل فيهم. وقمة الحكمة في هذه المحاورة جاءت في رأي الرَّبيع الذي نفَّذوه في النهاية، فقد حَلُمُوا عن تصرُّف الضيف، وعفوا عنه وخلوا سبيله. ولم يكن ذلك لضعف منهم ولا لحمق، بل كان لفطنة وذكاء وأرابة وحسن رأي، إذ حافَظُوا بذلك على سمعة أمهم، وعلى سمعتهم تجاه ضيفهم. ثم نلحظ حكمة الأم أيضاً، إذ دبَّت الحَمِيَّة في ابنها عُمارة، ورأى قَتْلَ ضَيْفِهِ، فكبحت جماحَه بطلبها أن يُدعَى الابن الرابع (الرَّبيع) لاستشارته إذ هو الأكبر. ولا تفوتنا حكمة عُمارة، على رأيه الذي أدلى

42
43
44
45
46
47

به متعجِّلاً، فلمَّا طلبت إليه أمُّهُ التريُّث، قَبِلَ ذلك وانتظر أخاه الأكبر من غير أيِّ اعتراض أو تذمُّر. وتتجلَّى الحكمة لديهم جميعاً أيضاً في موافقتهم إطاعة أخيهم الأكبر (الرَّبيع) حين سألهم الطاعة، مع أنَّ كلاً منهم كان ذا شأنٍ بين قومه.

ونلحظ من المحاورات السابقة أنَّ الحكمة في سلوك السادة والأشراف انبعثت من غاية لديهم، وهي الإسهام في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي (الأُسْرِيّ) والسياسي (القَبَلِيّ) في مجتمعهم، أما وسيلتهم في ذلك فهي منزلتهم وسلطتهم التي يحظون بها في المجتمع.

حكمة الفُرسان:

يتَّسم الفُرسانُ عادةً بالشدة والقوة والشجاعة، ويضاف إلى ذلك عند عرب الجاهلية الحميَّة المشهورة لديهم، والحميَّة إنْ أضيفت إلى الشدة والقوة جعلت الفارس ذا غضب واندفاع يجعلانه عُرْضَةً للتسرُّع في أمور القتال والمجابهات، وهنا يبرز دور الحكمة في كبح جماح الفارس وغضبه وميله إلى الوثوب على الطرف الآخر في مواجهاته له، ويُعرَف عن الجاهليين أنهم ذوو طَيْش ونَزَق، فهل كان فُرسان عرب الجاهلية كلهم كذلك؟

فقد قيل لعنترة بن شدَّاد العبسي الشاعر الفارس المعروف، وهو من أشهر فرسان العرب في الجاهلية: **"أنتَ أَشْجَعُ العربِ وأَشَدُّها؟** قال: **لا؛** قيل: **فبماذا شَاعَ لَكَ هذا في الناس؟** قال: **كنتُ أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدامَ عَزْماً، وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجامَ حَزْماً، ولا أَدْخُلُ إلا مَوْضعاً أرى لي منه مَخْرَجاً، وكنتُ أَعتَمِدُ الضعيفَ الجبانَ فأضربه الضَّربةَ الهائلةَ يطير لها قَلْبُ الشُّجاعِ فأُثَنِّي عليه فأقتله."**[48]

تعبِّر هذه المحاورة عن طبيعة نفس الفارس في الجاهلية، وهي تخالف ما عُرِفَ عن أولئك الفرسان من طَيْش ونَزَق، فلا ريب في أنَّ الحكمة ظاهرة في ردِّ عنترة السابق؛ ونَفْيُ عنترة عن نفسه صِفَتَي الأشجع والأشَدّ، وتعريفه السائل بالسبب الذي أوهم الناسَ بتَيْنِكَ الصِّفَتَيْنِ وهو امتلاكه صفات الفطنة والحنكة والحكمة وإعمال العقل، كل ذلك دليل على ذَمِّه الشجاعةَ والشدَّةَ المقترنتَين بالطَّيْش والنَّزَق، وافتخاره بصفة إعمال العقل في فروسيته ومواجهاته القتالية.

وقد رأينا أنه لا يأنف من الإحجام إنْ رآه خيراً من الإقدام وأَنْجَعَ، ولعلَّ عبارته تلك عن إحجامه هي الدليل الأكبر على حكمته، إذ تحتوي التعقُّل والأناة والحِلْم. فضلاً عن العبارة الأولى في جوابه، إذ إنه لا يُقدِم إلا إذا رأى الإقدام ناجعاً ومؤدِّياً إلى الفوز.

ثم يَبرُزُ إعمالُ عقله وفطنته في أنَّه لا يدخل إلا موضعاً يرى له منه مخرجاً، وأما العبارة الأخيرة في المحاورة فتُبْرِزُ حنكتَه فضلاً عن إعمال عقله، إذ يستخدم (الحرب النفسية) في تعبيرنا المعاصر، وهذا الأسلوب القتالي من أجدى أساليب الحروب وأنجعها.

48

ونعثر على محاورةٍ جَرَتْ بين فارسَيْن من فرسان عرب الجاهلية هما: عمرو بن مَعْدِي كَرِب الزُّبَيْدِيّ ورَبِيعة بن مُكَدَّم الكِنَانِيّ، ففي خبرٍ رواه عمرو بن معدي كرب نفسه[49] أنَّه كان مَرَّةً على فرسه يُغِيْرُ في فَلاةٍ، فلقيَ ربيعةَ يخصف نَعْلَهُ وإلى جنبه فرسه وسلاحه، فلمَّا رآه ربيعةُ استوى على فرسه وحَمَلَ عليه، ولا يعرف أحدُهما الآخرَ، وتناول ربيعةُ عَمْراً بالضرب غَيْرَ مَرَّةٍ، إلى أن أصاب فَرَسَهُ، وأصبح عمرو راجلاً، فقال لربيعة:

"ويحك! مَنْ أنتَ؟ فواللهِ ما ظننتُ أحداً من العرب يُقدِم عَلَيَّ إلا ثلاثة: الحارث ابن ظالم، للعُجْب والخُيَلاء؛ وعامر بن الطُّفَيْل للسنِّ والتجربة؛ ورَبِيعة بن مُكَدَّم للحداثة والغِرَّة، فمَنْ أنتَ ويلك؟ قال: **بل الويل لك، فمَنْ أنتَ؟** قلت: **عمرو بن مَعْدِي كَرِب،** قال: **وأنا رَبِيعة بن مُكَدَّم؛** قلت: **يا هذا، إني قد صرتُ راجلاً، فاختَرْ مني إحدى ثلاث، إنْ شئتَ اجتَلَدْنا[50] بسَيْفَيْنا حتى يموتَ الأعجز، وإنْ شئتَ اصطرعنا، فأينا صَرَعَ[51] صاحبَه حكم فيه، وإنْ شئتَ سالمتكَ وسالمتني؛** قال: **الصُّلْحُ إذن إنْ كان لقومِكَ فيكَ حاجة، وما بي أيضاً على قومي هَوَان؛** قلت: **فذاكَ لكَ."**[52]

تكشف هذه المحاورة حقائق عدَّة عن طبيعة نَفْسَي كلٍّ من الفارسَيْن، إذ نجد الاعتداد بالنفس واضحاً لديهما، إلا أنَّ هذا الاعتداد مقترنٌ بحكمةٍ خفيةٍ تجلَّت في قول عمرو بن معدي كرب حين واجَهَهُ ربيعةُ، إذ اعترف لربيعة أنه مع امتلاكه القوة والشدة والفروسية هناك ثلاثة فرسانٍ يمكن أنْ يجابهوه لصفاتٍ فيهم؛ وكان عمرو غيرَ مضطرٍّ للاعتراف بذلك أمام رجلٍ لا يعرفه، فضلاً عن الاعتراف بذلك بينه وبين نفسه، وفي ذلك حكمةٌ تنأى عن الاعتداد الأقصى بالنفس الذي يُلغي الآخرين جميعهم ويُبقي النفس على برجٍ شاهقٍ لا ترى منه أيَّ قرين وأيَّ منازع.

ثم نلحظ الحكمة في تصرُّف عمرو، إذ تَرَجَّلَ وأصبح مستعدّاً لقتال ربيعة، فقد طلب إليه اختيار إحدى ثلاث، وهذا نفسه حكمةٌ من عمرو، لأنه كان في مقدوره الوثوب على ربيعة ومجابهته من غير شروط أو خيارات، بيد أنَّ عادة الفُرسان آنذاك في مواجهاتهم القتالية أن يهيِّئوا لأقرانهم شروطاً مناسبة للمواجهة ويمنحوهم الوقت الكافي للاستعداد.

وأما الخيار الأخير، فدليلٌ على حكمةٍ تتجلَّى في قبول السلم عندهم، ولا سيما أن خيار السلم الذي اقترحه عمرو كان بعد إقدام ربيعة عليه، وهنا موضع الحكمة في نفس عمرو؛ ولا ريب في أنَّ اختيار ربيعة للصلح شاهد على حكمة ربيعة، بيد أنَّ السلم والصلح كانا مَرْهُونَيْن بالحفاظ على عزَّة كلٍّ من الفارسَيْن وكرامتهما، إذ لا تَهَاوُنَ عند الفُرسان في هذا الأمر ولا تَنَازُلَ عنه.

49

50

51

52

حكمة العَامَّة:

لاريب في أنَّ أيِّ مجتمعٍ يحوي الخيرَ والشرَّ، والحَسَنَ والرديءَ، والجميلَ والقبيحَ،... وهذا معروف في المجتمعات البشرية، بيد أنَّ سمةً تطغى على أخرى في مجتمع ما، فيُعرَف ذاك المجتمع بتلك السمة، لأنها الغالبة عليه وعلى جلِّ أبنائه.

فإذا طبَّقنا هذه النظرية على عامَّة عرب الجاهلية، وصلنا إلى نتيجة حتمية وهي وجود الحكمة لديهم بمختلف فئاتهم، وبدا لنا ذلك في فئات الفرسان والسادة والملوك، أي لدى عِلْيَة القوم. أما دهماء القوم أو العامَّة، فإذا أراد المرءُ أن ينظر إلى ما وصل إلينا عنهم في ميدان التاريخ والعلوم والآداب، فلن يقعَ إلا على ما نَدَرَ من آثار، ذلك أنَّ الأضواء تكون متوجِّهةً دوماً إلى العِلْيَة والبارزين في المجتمع، ويبقى دهماء القوم وعامتهم في الظل، فلا يُنقَل عنهم إلا في القليل النادر.

ولدى رَصْدِنا المحاورات التي وصلت إلينا عن عرب الجاهلية، تَبَيَّنَ شُحُّ المحاورات التي جَرَت بين عامَّة المجتمع ودهمائه، ومن ثَمَّ كان من الصعوبة رصد موضوع الحكمة في محاوراتهم.

بيد أنَّ ثمة أمراً لا بد من الإشارة إليه، وهو أننا ينبغي ألا نظنَّ أنَّ عِلْيَة القوم الذين تكلَّمنا عليهم فئةٌ قليلةٌ في مجتمع عرب الجاهلية، إذ إنَّ تقسيم المجتمع الجاهلي لم يكن كما يُظَنُّ؛ ففئة الفرسان واسعة جداً في المجتمع، لأسباب تتعلَّق بطبيعة المجتمع من حروب وغارات وأثآر وغير ذلك؛ وفئة السادة والأشراف تضاهي سعة فئة الفرسان، لأسباب تتعلق بطبيعة المجتمع القبلية.

لذا فإنَّ صورة الفئات الأخرى في المجتمع تعبِّر عن صورة المجتمع إلى حدٍّ بعيد، وتعطينا فكرة عامَّة عن المجتمع بأكمله، ذلك أن هذه الفئات تشكِّل جزءاً كبيراً من صورة مجتمع عرب الجاهلية.

ومع ذلك، لا نعدم بعض المحاورات التي دلَّت على حكمة بعض العامَّة من عرب الجاهلية، ومن ذلك المحاورة التي استشهدنا بها على حكمة الملوك، إذ تضمَّنت حواراً بين حاكم ورعيَّة، والرعيَّة – لا شك – هم العامَّة في المحاورة، وهم وإنْ اشتملوا على بعض الفرسان والأشراف، ففيهم العامَّة بلا ريب.

ففي تلك المحاورة التي جَرَتْ بين رجلٍ كان حاكماً (وهو زيد بن حِمَار التميمي) وبين الرعيَّة من أهل الحِيرة، ما يكشف عن حكمة الرعيَّة وتعقُّلها؛ فلمَّا تمرَّدت الرعيَّة على ظُلم مَلِكهم المنذر بن ماء السماء، أتاهم زيد وكان حاكماً قبله عليهم، فسألهم العُدُولَ عن طَلَبِ خَلْعِ مَلِكِهِم المنذر، وقال لهم: **"أَوَلا خَيْرٌ من ذلك؟!"** فقالوا: **"أَشِرْ علينا"**. وفي قولهم: (أَشِرْ علينا) حكمة دالة على حضارة مجتمعهم والرقي الفكري لدى العامَّة من أهل الحيرة، فهذه الحكمة جعلتهم يتأنَّون ويَحْلُمُون ويتريَّثون في أمر تمرُّدهم، وجعلتهم يطلبون إلى زيد أن يقدِّم لهم رأيه واقتراحه.

ثم تبدَّت الحكمةُ لديهم في أتمِّ صورها وأسمى مظاهرها، حين قَدَّمَ لهم زيد رأيه واقتراحه، فَعَدَلُوا عمَّا عزموا عليه (وهو خَلْع المَلِك)، وقَبِلوا برأي زيد، واعترفوا أنَّ رأيه أفضل من رأيهم، حين قالوا له: **"رَأْيُكَ أفضلُ"**.

خاتمة:

بعد كل ما سبق، نصل إلى النتائج الآتية:

أسهمتْ المحاوراتُ النثريةُ التي وصلتْ إلينا في الدلالة على وجود الحكمةِ في نفوس بعض عرب الجاهلية من مختلف فئات مجتمعاتهم، وذلك بقطع النظر عن الأخبار المدوَّنة في المصادر العربية؛ ولعلَّ هذه الدلالة أنْ تجعلَ وَصْفَ العربِ قبل الإسلام بالجاهلية التي تعني الطَّيْشَ والسَّفَهَ والنَّزَقَ والرعونةَ، وَصْفاً غالباً لا وَصْفاً عامّاً، بالاعتماد على فن أدبي ميداناً معرفياً للبحث.

واستطاع البحثُ أن يجمع بين أبعاد معرفية عدَّة، فإلى جانب انتمائه إلى الدراسات الأدبية المتوجِّهة إلى فنٍّ من فنون الأدب، كان للبحث بُعْدٌ تاريخي، ونقدي اجتماعي، ونقدي نفسي. فالحكمةُ ذاتُ الطبيعةِ النفسيةِ التي أشرنا إلى وجودها لدى عرب الجاهلية بتحليل ما صدر عنهم من كلامٍ هو انعكاس لطبيعة نفوسهم، رُصِدَتْ في فنٍّ أدبيٍّ هو فن المحاورات النثرية (ما بَيَّنَ قيمتَه المعرفية من الجانب الفكري) ، في حالات اجتماعية متنوِّعة (نظراً لاختلاف مجتمعات الجاهلية)، فأثَّرَت في المنحى التاريخي المعروف عن تلك الحقبة الزمنية (وهو صفة الجاهلية). وتكاملت هذه الأبعاد المعرفية في أثناء الدراسة، بعد أن أخضعناها لتقسيم اجتماعي، تَبِعَ فئات المجتمعات إبان العصر الجاهلي، فتكاملت تلك التقسيمات في نهاية البحث، وأدَّتْ مهمَّتها في الوصول إلى هدف البحث، وهو وجود الحكمة لدى بعض عرب الجاهلية بمختلف فئاتهم الاجتماعية.

الهوامش:

() مقاييس اللغة: 2/117

(2) لسان العرب: 2/1043

(3) سنعتمد في هذا البحث رأيَ الذين عدُّوا العصرَ الجاهليَّ الحقبةَ الزمنيةَ التي سبقت البعثة المحمَّدية بقرن ونصف إلى قرنين من الزمن، وهذا ما ذكره الجاحظ في كتابه (الحيوان: 1/74)، وهذه الحقبة هي التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلِها خصائصُها، وهي التي جاءنا عنها الشعر الجاهلي (انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي: 38)

(4) انظر: التعريفات: 123، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 701، ومعجم تاج العروس: 31/512 – 513

(5) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 701

(6) التعريفات: 124

(7) المصدر نفسه.

(8) انظر: مقاييس اللغة: 2/91

(9) انظر: المصدر السابق: 1/489، وسنستخدم لدى تحديد المعنى الآخر للجهل، كلمات مرادفة في معناها لمدلولَي: الخفة وخلاف الطمأنينة، مثل: السَّفَه، والطَّيْش، والنَّزَق، والرعونة ...

(10) تاج العروس: 31/512 – 513

(11) سورة البقرة: 2/269

(12) من التفسيرات المتصلة بالمعرفة والعلم أنها: معرفة القرآن والفقه به، والعقل في الدين، والفهم، والعقل، والمعرفة بالدين والفقه به والاتباع له، والقرآن بعينه. ومن التفسيرات المتصلة بطبيعة النفس الإنسانية بقيادة العقل أنها: الإصابة في القول والفعل، وشيء يجعله الله في القلب ينوِّر له به، والخشية، والنبوَّة. (انظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 2/576 – 577، 5/من 8 إلى 11)

(13) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: 2/479

(14) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: 9 – 10

(15) اللخميون: ملوكٌ حكموا الحيرة، نسبةً إلى عمرو بن عدي بن نصر اللخمي أوَّل ملوكها، وملكهم ما بين عامي 268 – 632م ، أي حتى فتح خالد بن الوليد للحيرة. (انظر: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: 48)

(16) انظر: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: من 45 إلى 49، 54 – 55

(17) وردت في الأغاني (وهو مصدر المحاورتين): حَمَّاد، والصواب ما أثبتنا، انظر: الإكمال: 2/549 ، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: 6/163

(18) سَبَرَ الأمرَ: اختبره واستخرج كنهه.

(19) لا آلوك نصحاً: أي لا أَفْتُر ولا أُقَصِّر.

(20) الأغاني: 2/103 – 104

(21) المماجدة: أن يجتمع القوم ويتفاخروا فيما بينهم ويُظهِروا مجدَهم.

(22) الخَتَن: هو كل مَنْ كان مِنْ قِبَلِ الزوجة كأبيها وأخيها.

(23) الأَخْتَان: جمع الخَتَن.

(24) انظر الخبر في: الأغاني: 17/ من 369 إلى 372

(25) المناجزة في القتال: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يَقْتُلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه أو يُقتَلَ أحدُهما.

(26) المِجاد: هو المماجَدَة، وكلاهما مصدر للفعل: ماجَدَ.

(27) الأغاني: 17/372

(28) انظر المحاورة السابقة.

(29) انظر خبر هذه الحرب وسببها في: الأغاني: 3/من 18 إلى 26

(30) وكان يقال لسويد: الكامل، إذ كان الرجل عند العرب في الجاهلية إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوه الكامل، وكان سويدُ بن صامت أحدَ الكَمَلَة. انظر: الأغاني: 3/25

(31) هو أحد بني الحارث بن الخزرج، وكانت الأوس قد دعت مالك بن العجلان الخزرجي إلى أن يحكم عمرو بن امرئ القيس بينهما قبل سنين من زمن هذه المحاورة، ولم يقبل مالك بحكم عمرو حينها، وآذن بني الأوس بالحرب. انظر: الأغاني: 3/20

(32) وَدَى فلانٌ فلاناً: أدَّى ديته إلى وليِّه.

(33) الأغاني: 3/25 – 26

(34) وهو قرشي من بني عبد الدار بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر، لكنه ورد في الأغاني خطأً: العبدي، وأشار محققو الكتاب في الحاشية إلى أنَّ الكلمة وردت في إحدى النسخ المخطوطة: العبدري، نسبة إلى عبد الدار. انظر: الأغاني: 22/72. وهو غير الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب وحكيمها في عصره، والمتوفَّى سنة خمسين للهجرة.

(35) أي مخاطباً قومه.

(36) أي قال بنو هوازن للقرشيين تعقيباً على قول عتبة لقومه.

(37) الموتور: مَنْ قُتِلَ له قتيل فلم يدرك بدمه.

(38) أي أجاب عتبة بني هوازن قائلاً.

(39) الأغاني: 22/73

(40) انظر: المصدر نفسه.

(41) انظر: الأعلام: 4/200

(42) ذكرنا تعريف مصطلح (الكامل) في الجاهلية في صفحة سابقة.

(43) الشملة: الكساء أو الثوب أو المئزر.

(44) الخز: الصوف مع الحرير.

(45) وردت العبارة هكذا، ولعلَّه قَصَدَ أنَّ الشَّمْلَةَ كانت مُطَيَّبةً بالمسك، فطرَحَتْها عليه وهي كذلك، ولم تُزِلْ أَثَرَ المسكِ عنها.

(46) أعتم الرجلُ: دخل في وقت العَتَمَة، وهي الثلث الأول من الليل.

(47) الأغاني: 17/181

(48) الأغاني: 8/244

(49) انظر الخبر في: الأغاني: 16/من 74 إلى 76

(50) اجتلدنا: تَضَارَبْنَا.

(51) صَرَعَ فلانٌ فلاناً: طَرَحَهُ أرضاً.

(52) الأغاني: 16/76

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط15 – 2002

3- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – بين عامَي 1992 و1994

4- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب – ابن ماكولا – تصحيح وتعليق: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ط2 – 1993

5- تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي – تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف: عبد الستار أحمد فراج – سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء – مطبعة حكومة الكويت – الكويت – بين عامَي 1965 و2001

6- تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي – د. شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط24 – 2003

7- التعريفات – علي بن محمد بن علي الجرجاني – تحقيق: إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي – بيروت – ط1 – 1405 هـ

8- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر – مصر – ط1 – 2001

9- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم – ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي – تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط1 – 1993

10- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي – د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت – ط1 – 1992

11- الحيوان – عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق: عبد السلام هارون – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – الجزء الأول – ط2 – 1965

12- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – محمد علي التهانوي – تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج – مكتبة لبنان – بيروت – ط1 – 1996
13- لسان العرب – ابن منظور – تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي – دار المعارف – القاهرة – د.ت
14- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن قيم الجوزية – تحقيق: محمد حامد الفقي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط2 – 1973
15- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية – د. ناصر الدين الأسد – دار الجيل – بيروت – ط7 – 1988
16- مقاييس اللغة – ابن فارس – تحقيق: عبد السلام هارون – اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سورية – 2002